المعنى بين السيميائية والنسق الثقافي قراءة في قصيدة بين عينيك وبيني لأدونيس

The meaning between semiotics and the cultural pattern, a reading of the poem Between Your Eyes and Me by Adonis

موسى بن هاشمي[1]*، عبد القادر طالب [2]

[1] جامعة بومرداس، (الجزائر)، مخبر تحليل الخطاب جامعة تيزي وزو

m.benhachemi@univ-boumerdes.dz

[2] مؤسسة جامعة أمحمد بوقرة، بومرداس، (الجزائر)

amineboutaleb87@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/09/04 تاريخ القبول: 2024/05/06 تاريخ النشر: 2024/06/29

ملخص:

تهدف الدراسة إلى كشف تنوع أساليب المناهج والإجراءات النقدية في سبيل تلمس المعاني المتلبسة بمباني الخطاب والنصوص خصوصا الأدبية منها؛ وذلك من خلال اختبارها بعض إجراءات كل من السيميائية وآليات النسق الثقافي في كشف معنى النص وقد توصلت الدراسة إلى تسجيل اختلاف النتائج المتوصل إليها من خلال تباين أدوات التحليل بين المنهج السيميائي والنسق الثقافي، وذلك من خلال تجريب آلياتهما على نص شعري حداثي للشاعر أدونيس . وبناء عليه خلصت الدراسة إلى أن المعنى والمقاصد في النص تتعدد بتعدد مناهج القراءة وتباين أساليب التحليل.

كلمات مفتاحية: المنهج السيميائي، النسق الثقافي، المعنى، الحداثة وما بعد الحداثة

Abstract:

The study aims to reveal the diversity of approaches and critical procedures in order to detect the meanings embedded in the premises of discourse and texts, especially literary ones. This was done by testing some of the procedures of both semiotics and the mechanisms of the cultural pattern in revealing the meaning of the text. The study reached a record of the difference in the results reached through the contrast of analysis tools between the semiotic approach and the cultural pattern, by experimenting with their mechanisms on a modernist poetic text by the poet Adonis. Accordingly, the study concluded that the meaning and

* **المؤلف المرسل**

purposes in the text vary depending on the multiple reading methods and the different analysis methods.

Key words: the semiotic approach, the cultural system, meaning, modernity and postmodernism.

1. مقدمة:

عرفت الدراسات اللسانية نقلة معرفية نوعية بفضل انتحائها المنهج العلمي؛ مما جعل الدراسات النقدية تصيغ مناهجها التحليلية في مقاربة النص متأثرة بذلك، وكان من المناهج الحداثية والبنيوية المطاوعة في كشف معنى النص المنهج السيميائي. ثمّ ما لبث أن جاءت فترة ما بعد الحداثة التي نادت بإعادة النظر في آليات توصيف المعنى داخل الخطاب، ومن بين إبدالات النقد الثقافي كمفهوم ونشاط ما بعد حداثي أن قدم النسق كمفهوم وإجراء في استبطان معاني النص وقراءته، والدراسة تهدف في مسيرتها إلى الكشف عن أسئلة وأساليب البحث عن المعنى في مفاهيم السيميائية والنسق الثقافي باعتباره المراد (المعنى) الذي تؤشر عليه دلائل الخطاب و النص، كما تهدف لرصد أهمية السيميائية كمنهج حداثي إذ بتكيّفها مع إملاءات النقد المستجدة أسهمت في التحول إلى مقولات وأنشطة ما بعد الحداثة والتي من بينها النسق الثقافي كأداة فاعلة داخل النقد الثقافي.

استعانت الدراسة منهجيا بالوصف والتحليل وأحيانا المقارنة وأيضا بعض إجراءات السيميائية ومقولات النقد الثقافي خصوصا الوظيفة نسقية حين تعرضها لنموذج الدراسة وهذا ما يدفع البحث لطرح الإشكالية المتضمنة للأسئلة كالتالي: ما السيميائية؟ وما مفهوم النسق الثقافي؟ وما طبيعة العلاقة بينهما؟ كيف لاحت دلائل المعنى داخل قصيدة بين عينيك وعيني حسب إجراءات كل من السيميائية والنسق الثقافي؟

2. تأطير مفاهيمي

1.2مرحلة الحداثة:

سيطرت البنيوية في مرحلة الحداثة على تفسير النص الأدبي مما اقتضى الكشف عن المعنى داخل هذا الأخير وفق مناهج تناسب الرؤية الحداثية التي تتصل بالعقلية القائمة على التحليل الوضعي الذي يتبنى التعليل العلمي للظواهر الإنسانية والمادية على حد السواء، ومن ثم فأي شيء خارج القواعد الكلية والقوانين العامة التي تثبتها التجربة العلمية المصحوبة بالتأمل العقلي تبقى خارج دائرة التصنيف[1] وهذا أهم ما ميز مرحلة الحداثة وفلسفتها.

2.2. مرحلة مابعد الحداثة:

عندما تزحزحت سطوة الحداثة بفعل تصاعد مفاهيم ما بعد الحداثة انعكس ذلك على قضايا النص خصوصا المعنى وتعددت أبجاديات تفسير تلمّسه وتشكله؛ ومن ثم أنساقه داخل النص الأدبي فكان للدراسات الثقافية والنقد الثقافي التي هي من بين طروحات ما بعد الحداثية وإحدى المداخل والأنشطة المعرفية الكبرى التي تهتم بالمعنى في النص المنطلق في مباحثة المعنى، وذلك باستغلال فكرة النسق كوسيلة في فتح مغاليق النص للبحث عن دلالته الضمنية والعميقة؛ رافعة شعار اللامركزية وعدم الثبات والجوهرية في التفسير والقراءة [2]ومن هنا نرى أن كلا من السيميائية والنسق الثقافي يتحدان في الغاية التي تنشد المعنى في النص رغم اختلاف آليات اشتغال كل منهما في سبيل تحقيق ذلك.

2.3. المعنى وعلاقته بالنص:

نعتقد أن (لفظ)المعنى له صلة ب"أمعن فلان في الطلب إذا جدّ وأبعد وبالغ في الاستقصاء. ويقال أمعن في الأمر وأمعن في النظر[3]" كما أن (لفظ)معنى اسم وجمعه معان

ويشير إلى المضمون والفحوى والدلالة ويشار به في الفلسفة والتصوف إلى مجموعة الصفات المكونة لمعنى مصطلح أو عبارة[4]"

انطلاقا من التعريف المعجمي للفظة (المعنى) نستبين أنه يتحدد مدلولها انطلاقا من النص فالمعنى هو الجوهر في النص وهذا الجوهر الذي قارئ النص أو ناقده كامنا في الظرف اللغوي سواء كان نصا أو خطابا؛ لذا تتعدد طرائق تحليل الخطاب ومناهج تفسير النصوص وتأويلها تبعا لتصور القارئ للمعنى فمثلا المعنى حسب تصور وطرح رواد نظرية القراءة كمدرسة ما بعد حداثية يتمثل عندها في تفاعل القارئ مع بنيات النص لأجل الفهم دون إغفال ما كونته له قراءاته السابقة من مخزون معرفي، وبرد القارئ للفراغات وخلقه للتماثل باللا تماثل تتكشف له مقصدية المؤلف[5].

وإذا تطرقنا للمعنى حسب ما درجت عليه المناهج السياقية للنص نراها تتقصده في المظاهر المحيطة بالمبدع مقرونا بشرطية القيمة الإنسانية والصدق الفني [6]، وهكذا فقضية المعنى في النص تتعلق بما يطلبه دراس النص ويتقصده منه. وحسب الأدوات والمناهج التي يقرأ بها هذا النص يكون تعدد المعنى.

2.4. النص الأدبي:

يلتقي النص الأدبي وفق الطرح البنيوي بمفهوم الكتابة باعتبارها مؤسسة اجتماعية تضم أنواعا مختلفة من الكتابة على مالها من أعراف وشفرات ومن الذين نادوا بهذا المفهوم رولان بارت "لقد أصبح النص الأدبي عند هذا الاتجاه هو جنس من أجناس المؤسسة الاجتماعية أي الكتابة الأدبية، وهذا التفريق بين الكتابة والنص هو نفسه التفريق اللساني البنيوي بين اللغة كنظام (langue) وفعل القول الفردي(parole)[7]"

بيد أن الخطاب الذي جاءت به ما بعد الحداثة تجاوز هذا الطرح الذي يقيده بالسياق المحايث للنص ولا يتعدى به مستوى البنية ليأخذ بعد آخر عند (ميشيل فوكو) كما يتضح

من عديد دراساته ومحاضراته فالخطاب حسب ما يذهب إليه متأثرا باستعمالات التاريخانية الجديدة وأفكار الدراسات الثقافية "بأنه شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة والمجاز في الوقت نفسه"[8] وعلى كل فالمفهوم الذي يقرن النص الأدبي في سياق ما جاءت به الحداثة هو ما يعتبر النص الأدبي سواء كان شعرا أو نثرا كتلة متناسقة تجمعها العديد من التفاعلات والمبادلات الداخلية التي تسمح بقراءة النص من الداخل أي اكتفاء بمعطيات النص التي يحددها التحليل البنيوي " مثل دراسة" الرمز، الصورة، الموسيقى وذلك في نسيج العلاقات اللغوية وفي أنساقها. بإمكان الناقد النظر في ذلك النسيج مقاربا المستوى السطحي للبنية نافذا إلى مستواها العميق[9]" لكن المفهوم الأول الذي أشرنا إليه كما هي رؤية بارت يتعلق بأطروحات وتجريب ما بعد الحداثة وأيضا كما عند جاك دريدا الذي يرى أن النص دائما لا يفصح عن الحقيقة التي يحويها؛ وبالتالي لابد من التعرف على مالم يقال انطلاقا من فعل التفكيك المستمر للنص الذي يسكنه الغائب والمحجوب فيه ليصبح النص بذلك ذو طبيعة خاصة بانفتاحه على قراءات وتأويلات متعددة، تؤدي بالضرورة إلى تأويلات آخر وكل فهم انبنى عليها سينجم عنه فهما آخر وهكذا إلى ما لانهاية؛ مما يعني أن كل قراءة للنص تنتجه في شكل جديد ومن خلال القراءات المتعددة تنتج عنه أفهاما متعدد تبعا للقراءة وظروفها، ومن هذا المنظور تنتهي العلاقة التقليدية بين لغة الإبداع والنقد التي تقوم على نظام الأولويات للتأكيد على فكرة أن النص الأدبي يجسد كمالا ذاتيا للمعنى ولا يتمكن النقد من الولوج إليه إلا من خلال الاستراتيجيات الملتوية غير المباشرة.

2.5. السيميائية:

يتشكل هذا المصطلح (السيميائية) من كلمتين (Sémio) أو(sema)كما في اللغة اللاتينية التي تعني إشارة أو علامة أو ما يسمى بالفرنسية (signe) أو الانجليزية (signe) في حين أن الجذر الثاني (tique) يعني العلم كما هو معروف؛ وبدمج الكلمتين (Sémio) و (tique) يصير معنى المصطلح علم الإشارات أو علم العلامات. وهو العلم

الذي اقترحه (دي سوسير)كمشروع مستقبلي لتعميم العلم الذي جاءت به اللسانيات؛ فيكون العلم العام للإشارات .وما جاء في معجم روبير يندرج تحت هذا الإطار حيث أفاد أن السيميائية " نظرية عامة للأدلة وسيرها داخل الفكر ... ويعتبرها نظرية للأدلة والمعنى وسيرها في المجتمع ...؛ وفي علم النفس تظهر الوظيفة السيميائية في القدرة على استعمال الأدلة والرموز[10]".

ويشير رشيد بن مالك إلى اتجاهين سيميولوجيين هما:

أولا:سيمولجيا التواصل: التي جاءت على يد (إيريك بوسنس) حيث حددها وظيفيا "تدرس أنساق التواصل المتمثلة في الوسائل المستعملة للتأثير في الآخر وذلك داخل محورين ...

– توفر القصد في التبليغ لدى المتكلم – اعتراف متلقي الرسالة بهذ القصد[11]"

ثانيا: سيميولوجيا الدلالة: نظرا للجهود والمفاهيم التي جاء بها رولان بارت في سبيل التأسيس لهذا الاتجاه فبذلك اعتبر المنظر الأساسي له، حيث يرى أن اللسانيات أعم من السيميولوجيا وهي جزء منه؛ خلافا لرؤية (سوسير)، وقد سارت (جوليا كريستيفا) وغيرها من النقاد في تبني فكرة بارت[12]؛ وما يميز سيميولوجيا الدلالة أنها تعنى بدارسة المعنى الإيحائي بناء على أن المعنى الأصلي هو الإطار الذي تصدر منه المعاني الإيحائية؛ كما أنها تهتم بنظام الأدلة التي تستهدف المعاني الإيحائية[13]

2.6. النسق الثقافي:

حسب الناقد عبد الله الغذامي النسق "يتحدد عبر وظيفته التي لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد وذلك في حال تعارض نسقان أو نظمان للخطاب؛ أحدهما ظاهر والآخر مضمر ويكون المضمر ناقضا أو ناسخا للظاهر وذلك في نص واحد أو في حكمه مع شرط جمالية النص وجماهيريته؛ والجمالية حسب ذائقة الرعية الثقافية لا النقد المؤسساتي ،كما يتم

إقصاء الرديء والنخبوي؛ وأيضا التناقضات النسقية التي تأتي في مواقع مخالفة وفي نصوص متباينة[14]"يطلق الغذامي على النسق حال اشتغاله كعامل تحليل (سمة الوظيفة النسقية) التي تأخذ حسبما يذهب الموصفات التالية:

– "نسقان يحدثان معا وفي آن في نص واحد أو في حكم النص الواحد، يكون المضمر منهما نقيضا ومضادا للعلني ...وذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي[15]".

إن هذه الشروط العضوية التي تجسد الوظيفة النسقية هي العنصر الفعال التي تجعل من النقد الثقافي أداة تحليلية قادرة على ممارسة النقد الثقافي انطلاقا من فكرة النسق التي تسعى لقراءة النص من منظور ثقافي وطالما أن النقد الثقافي والوظيفة النسقية التي تلعب فيه المحور فقد كانت هناك العديد من المحاولات النقدية التي تهتم بالشأن الثقافي، بل مهدت له بمقولات اجرائية يفحص بها النصوص ودلالتها ولا زالت هذه الفروع الثقافية بمحادة النقد الثقافي وذلك مثل الدراسات الثقافية، الرواية التكنولوجية، النقد المؤسساتي، التعددية الثقافية وما بعد الحداثة، الجماليات الثقافية (التاريخانية الجديدة) والناقد المدني. غير أننا نرى أن مفهوم الدراسات الثقافية قد يشمل الجميع طالما أنها تهتم بإعادة تفكيك ما انبنى من أصنام الحياة والمجتمع بمعزل عن إرادة الفرد البسيط على الصعيد السياسي والكبير القيمة في الجانب الثقافي والمتماهي في ذلك مع المستويات كلها[16].

3. المعنى في السيميائية التمثل والإجراء

1.3. عناصر التحليل السيميائي:

تتعدد عناصر الكشف عن المعنى داخل النص وفق التحليل السيميائي وتعدد اتجاهاته ويمكن الإشارة بصورة موجزة لأهم هذه العناصر انطلاقا من فكرة التشاكل والتباين التي تعد فكرة محورية في التحليل السيميائي، فالتشاكل والتباين عبر جميع أجزاء الخطاب أو النص هو ليس فقط تشاكل المضمون كما يذهب غريماس بل يرى (راستي) وجماعة (M)أن

التشاكل يتناول مكونات الخطاب جميعها فيدرس التشاكل صوتيا نبريا وإيقاعيا كما هو تشاكلا منطقيا ومعنويا،والغرض من التشاكل هنا لأجل فهم معنى النص ولاشك. يقول محمد مفتاح عن التشاكل "تنمية لنواة معنوية سلبيا أو ايجابا بتوليف اختياري أو العكس لعناصر صوتية ومعجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية ضمانا لانسجام الرسالة[17]" ونود أن نقف عند بعض هذه العناصر لنتبين قضية المعنى فيها

أولا:عنصر الصوت: تحت مظلة التشاكل لابد من العناية بتكرار الأصوت وتراكمها وتكرار الكلمات وعلى هذا الأساس فإن أي تجل للواقعة (خطاب أو نص)سيحيل في الآن نفسه على مظهرين منفصلين ومتداخلين للمعنى، أحدهما مرئي ... مباشرة من خلال الوجه المرئي للواقعة أو بما تقدمه الواقعة في شكلها الظاهري...والثاني مستتر ومفترض من خلال النسخة المتحققة[18]"

ثانيا:عنصر المعجمية: يتحدد هنا مراعاة المعجمية من جهة التركيب أي باعتبار العلاقة الدلالية للمحمول بموضوعه أو موضوعاته، وثانيا من جهة الدلالة التي تتجاوز التركيب إلى تحليل النص بالكامل للكشف عن أبعاده المختلفة [19]

ثالثا: عنصر التركيب: يتضمن التراكيب النحوية والصرفية والبلاغية فالمعنى يتأسس من جهة التركيب ومن هنا فالمعنى لا يتحدد والتركيب أو المقابل المباشر للعلامات كما تنص الدلالة المعجمية ذي الوجه الأحادي بل في سياق التركيب البلاغي يجب "إعادة بناء قصدية النص وفق مقتضيات السياق التي تقتضيها القراءات المتنوعة ...(ومن ثم) يمكن النظر إلى المعنى باعتباره إجراء مرتبطا بنسق[20]"

2.3. مستويات التحليل السيميائي:

يتأكد من الملاحظات في إطار هذا البحث أنه ليس هناك اتفاق على خطوات معينة في التحيل طالما أن السيميائيات متشعبة وفيها عدة فروع؛ لكن جميعها تتفق على فكرة المقاربة

المحايثةللنص وفرض تعاطيه كبنية ثم تعريضه للتحليل باعتباره خطابا في المقام الأول والأخير؛ كما أنها تشترك في المعجم المصطلحي لهذا المنهج، وعليه فالخطوات التي سنشير إليها في الفقرات التالية ضمن كشف المعنى في النص استنادا لما اعتمده عبد الملك مرتاض في تحليله لقصيدة السياب حيث وقف على ما يلي"

المستوى الأول: تعرض فيه للتشاكل والتباين في اللغة الشعرية للسياب على مستويات اللغة المشكلة للنص صوتا ومعجما وتركيبا ودلالة.

المستوى الثاني: دراسة لغة السياب من زاوية الحيز والتحايز الذي يعطي اللغة الشعرية إطارا سيميائيا متميزا تنقلها إلى الدلالة الحية بدل الدلالة الجاهزة.

المستوى الثالث: يتناول فيه تحليل الرؤية الفنية من خلال المماثل والقرينة[21] " من خلال هذه المستويات حاول مرتاض أن يركز بشكل أساسي على قضية المعنى خصوصا الكامن وراء العلامة المعجمية، لكن مما يلاحظ أن مرتاض لم يهتم بالجانب الإيقاعي عبر المستويات التي درس بها نص السياب مما يعني أن المعنى عنده يتأسس في التشاكل والتباين عبر عناصر النص والوظيفة الإبداعية للتراكيب، كما تلعب العلامة عنده البعد الأساسي في القبض على حيز المماثل انطلاقا من البعد التأويلي الذي تسمح به الحدود بين قطبي الرمز والمفهوم أو الدليل والمدلول، ولكن الذي ينبغي أن يستدرك لأجل تمثل المعنى في إطار السيميائية في الخطاب الشعري بالأساس؛ كما يقترح فاتح علاق "لا يمكن تجاوز الإيقاع لارتباطه بالمعاني والدلالات بل لا يمكن أن تتشكل صورة أو دالة خارج الإيقاع[22]"

4. النسق الثقافي /عناصر دراسة المعنى وإجراءات التحليل

1.4. عناصر دراسة المعنى وفق إجراء النسق الثقافي

– الوقوف على العناصر الثقافية واستنطاقها لأجل معرفة الخلفيات والملبسات التي تتعلق بها، ولا يتأتى ذلك "إلا بإنجاز تصور كلي حول طبيعة البنى الثقافية للمجتمع وتكوين جهاز

(معرفي/ إبستمولوجي) من لدن المؤول الثقافي لفك شيفرات المحتملات النسقية للنصوص[23]".

– مراعاة اشتغال النسق حين التحليل بكل منتوج ثقافي أو نصي يستهوي الجماهير، بل يعد ذلك علامة دالة على حركة مضمرة للنسق سواء كان ذلك في "الأغاني، الأزياء، الحكايات، الأمثال، والإشاعات والنكت[24]"

2.4 إجراءات النسق الثقافي في تحليل النص:

– مراقبة النسق لانتقال الثقافة وتحولها من جيل لآخر باعتبارها مخزونات مضمرة اتخذت شرعيتها عبر المد التاريخي لثقافة المجتمع أو الجيل المشترك الخصائص "الثقافة أيضا تتحرك على مستوى مماثل من وجود أصول راسخة تقبع في المضمر العميق تجعلنا سجناء للنسق[25]"

– اعتماد النسق للقراءة التأويلية من خلال العلامة الثقافية الدالة على النتائج التي يخلص إليها في كشف المعنى لتبقى ذات نهايات مفتوحة قابلة للتعديل وإمكانية بلورة معاني جديدة ممكنة من "قراءة المجاز في النص بوصفه كناية تحدد أمارات النص وتقرأ من خلالها تلك العوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية[26]"

5. المعنى بين السيميائية والنسق الثقافي /الاتصال والانفصال:

5.1 المعنى/الاتصال:

من أوجه الاتصال بين السيميائية والنسق الثقافي في مسالة المعنى نظرتهما للنص والخطاب فإن كليهما يعتبره محور الدرس وميدان للبحث عن المعاني وتعريتها، كما يؤيدان أهمية النص في تشكيل الحقل النظري والتطبيقي للناقد السيميائي أو المهتم بالأنساق الثقافية، كما يتفقان أيضا في الانطلاق من فكرة كون النص نتعرف من خلاله على

الفضاءات الخارجية(معاينة) من خلال العلامات والصور الأيقونية كما هو مذهب السيميائية[27]

5.2. المعنى /الانفصال:

تنطلق السيميائية من دراسة النص كبنية مغلقة، ثم عبر بنية القرينة والمماثل تعطي بعدا توسعيا لها. لكن النسق ينطلق من النص كفضاء مفتوح تسمح ممارسات متعددة للمجتمع أن تخلق تفاعلية مع النص بأي طريقة ما لكشف المعنى، ثم أن السيميائية حقل منهجي علمي له إجراءات ومستويات تحليل في رصد معنى النص وإن كانت تختلف من اتجاه لآخر ومن باحث لباحث؛ لكنها تعرف الصرامة في التطبيق، بيد أن النسق يستعين بإجراءات من حقول متعددة لحجز المضمرات النسقية كمعنى قائما بالنص مما يجعله يفتقر للدقة المنهجية ذاتها التي تتمتع به السيميائية[28]. كما أنها في إطار بناء معنى النص تبحث عن التشاكل والاختلاف؛ بينما النسق يبحث في كشف قبحيات الإبداع ويكشف طريقة تأثيرها السلبية على المجتمع وثقافته؛ إلى غير ذلك من الفروق الأخرى.

6. كشف المعنى سيميائيا في قصيدة "بين عينيك وبيني"

يقول الشاعر أدونيس في قصيدته[29]:

حينما أغرق في عينيك عيني

ألمح الفجر العميقا

وأرى الأمس العتيقا

وأرى مالست أدري

وأحس الكون يجري

بين عينيك وبيني

نقف لكشف معنى النص سيميائيا على المستويات الإجرائية الآتية

1.6. المستوى الأول التشاكل والتباين:

أ) التشاكل الصوتي: نلاحظ في القصيدة تواتر صوت حرف العين كما أن بعض الأصوات الحلقية وأصوات الهمس تكررت بصورة لافتة في النص فالعين وكأنه يمثل جميع الحروف خصوصا إذا لاحظنا أن الأصوات المسيطرة مخرجها حلقي (ع، أ)، كما نلاحظ أن صفة الهمس بينهما (ع، أ) تشاكل من جهة كونهما يعبران عن حالة ذوقية وجدانية فهما يقابلان حرف (الياء)المدية الذي يشير إلى عمق الحالة ووجه العلة فيها. كما أن التباين يظهر في كون (الحلقي) يلتصق دوما بالإظهار الذي (يتقاطع) مع الهمس الذي يتناسب فيه الإخفاء وقد(يجتمع) مخرج الحلق مع صفة الهمس في (الحاء) مما يدل على (التوازن) بين الطرفين وبالتالي يشكل هذا الحرف نقطة (مبادلة) بين المخرج والصفة على ما بينهما من (تباين)

ب) التشاكل والتباين المعجمي: نجد التشاكل بين لفظتي عيني وعينيك، والتباين من خلال أجزاء الوقت في لفظ (الفجر الأمس) فالتباين والتشاكل يوضحان مدى التقارب بين المرسل عبر النص والمستقبل له كمقصود بالخطاب الذي يرسل به المتكلم عبر بنيات النص وأدواته المصاحبة التي تحقق مقصدية النص وفهمه في إطار كلي مغلق.

ج) التركيبي والدلالي: التشاكل من حيث التوازي في عدد الأسماء والأفعال التقابل بين ضمير المذكر والمؤنث بين المخاطب والمتكلم كميزة صرفية؛ و التباين في غلبة الجمل الفعلية كظاهرة نحوية وسيطرة الفعل الماضي؛ كما أن هناك تباين بين حقلي دلالة النص الذي أحدهما ينصّب على الطبيعي (أغرق، الفجر) والآخر يتعين بالإنسان(عينك، عيني، أرى، أحس، أدري، ألمح ...الخ.)

2.6. المستوى الثاني: الحيز والتحايز من الدلالة الجاهزة إلى الدلالة الحية:

الانتقال من الاستعمال اللغوي العادي للغة إلى المستوى الشعري من خلال الظواهر البلاغية والأسلوبية التي توسع من دلالة الألفاظ وتعطيها استعمالات مختلفة عن الأصل الوضعي والمعجمي كما في النص "حينما أغرق في عينيك وعيني" انتقل بدلالة الغرق من الطبيعة والتصور المخيف إلى ميدان الإنسانية والحب ليفيد المبالغة في حضور مخيال كلا المحبوبين في قلبي صحابه إلى درجة الغرق واوضخ القدر الحميمي المشترك من التعلق والمحبة بين المخاطب والمتكلم وهذا أعطى فسحة لترجمة المشاعر وتجسيدها بصورة حسية يتلمسها القارئ من خلال الدلالة الخفية التي تسكن فضاء البنية المعبرة عن هذه الصور المكتنزة لهذه الدلالة.

3.6. المستوى الثالث:معالجة الرؤية الفنية من خلال المماثل والقرينة

نجد أن المماثل يشكل الصورة الموافقة للدال بينما القرينة تمثل العلامة مما يجعل الترابط بينهما يولد المعنى ويجعل الذهن يصل الروابط بين الطرفين كي تتم عملية الإدراك وهنا يدخل التأويل السيميائي الذي يحدد طبيعة العلاقة فمثلا عبارة " أرى ما لست أدري" هنا رؤية فنية تصويرية حيث أثبت رؤية ما ليس يدري لسبب تعلقه بالمحبوب فالذي ليس يدريه هو المحبوب ذاته كون القرينة تدلنا عليه[30]، وواضح جدا العلاقة القائمة على دعائم الكناية بين الصورة الحقيقية والمراد المتوراي داخل البينة اللفظية ويحتمل أيضا قرينة المجاز العقلي الذي يفيد إطلاق الصورة الحاضرة التي تتحين في الملفوظ كمماثل يمكن ترجمته من خلال القرائن المنطقية التي تضمن التأويل المناسب لإدرك مقاصد المتكلم وتأويل دلالة ألفاظه وفق التنبيه والقرينة المصاحبة دلالة التزام أي تلك التي تربط بين المماثل والمقصود عبر وسائطية القرينة فرؤية الشاعر لما ليس يدري صورة لفظية تحمل قيم مجازية يؤولها العقل بإسناد المفعولية إلى غير محدد حيث تحتمل صور متعددة القراءة على أن الإسناد في الأصل يكون آحادي الطرف بين مبدأ المجاز المؤدي بالقرينة نحو المقصد المؤول عقلا

7. كشف المعنى بالنسق[31] الثقافي في القصيدة (نموذج الدراسة)

نجد في النص ثلاثة أنساق أساسية عملت كخلفية متسترة وراء الجماليات اللفظية التي لبسها أدونيس نص قصيدته وتمثلت في الأنساق التالية

1.7. نسق البوح:

هذا نسق جمالي ظاهر لكنه يحمل وراءه نسق آخر مضمر نصل إليه من خلال هذا التعبير الجمالي كما في قوله "حينما أغرق في عينيك عيني " فهذه الصور الفنية ذات الإبداع البلاغي وبأسلوبها الإنزياحي تؤكد أن الشخصية الشاعرة متغطرسة بفعل أنها تسع الآخر لتغرقه وتجعله وفق مزاجه الخاص؛ هنا تظهر الذات المستعلية التي تتخذ من الشعر وسيلة لإذلال الآخر وهذه من أعظم القبحيات التي يمررها غطاء الجمالي في القصيدة[32]

2.7. نسق الرؤية:

يظهر هذا الصنف من النسق الثقافي في الأسطر (2 –3 – 4) من القصيدة كالتالي:

ألمح الفجر العميقا

أرى الأمس العتيقا

وأرى ما لست أدري.

يتيح لنا هذا النسق الظاهر الذي يرتبط برؤية الحبيب والمبالغة في حبه إلى نسق آخر مضمر وهو أن الشاعر وحده هو الذي يحدد الرؤية ويبصر الحقيقة فالجميع عليه أن يتبع ويصفق خصوصا وأنه يلمح فجرا عميقا. وهذا يوحي أن معرفته تستلهم ما وراء الحقيقة وتتجاوز الحجب، كما أنه يرى الأمس العتيق الذي يعني أنه قرأ ثقافة هذا العربي وعرف حضارته وهو جزء منه فلابد أن يسلّم بريادة أفكاره ورؤاه الحداثية. فالنسق المضمر وراء

نسقية الرؤية وبلاغتها هو نسق الفحولة والأسبقية المعرفية التي يريد بها هذا الشعر أن يصنع بها لنفسه زعامة على سنن زعامة وفحولة الشاعر العربي التي انغرست في ثقافة العربي ومازالت تؤدي دورها النسقي في ذهنيته الحاضرة [33]

3.7. نسق المقابلة:

ينطلق الشاعر في السطر الأخير من القصيدة " بين عينيك وبيني" من التعبير الإبداعي الذي معناه فني ومتميز. حيث أن المقابلة توحي بمجال الحب بين المخاطب والمتكلم؛ بيد أن النسق المتخفي يؤكد خطورة هذه المقابلة التي تجعل المتكلم في مقام السيد والمنظر؛ بينما والمخاطب الذي هو جمهور المتلقين والشعب العربي تحديدا سيكون تابعا ومنقادا، لأن هذا الشاعر يعتقد تخلف هذا المخاطب بل وذهوله عن العالم بسبب صدمة الحداثة والشاعر هو أدونيس بما يوحيه اسمه وثقافته و اشتغاله على مقولات الحداثة[34]والتراث هو بالفعل يؤكد نسق السيادة والقيادة المطلقة التي يتستر بها وراء هذه الكلمات المخاتلة والتي تزيف الخطاب وتوحي بغير المقصدية الماورائية.

8. خاتمة

نصل في خاتمة هذا البحث إل أن المعنى في ظل السيميائية والنسق الثقافي يظل هو المراد والمطلوب من الخطاب أو النص، وإن اختلفت أسئلة وأساليب البحث التي يتطلب بها هذا المعنى؛ كما أن السيميائية تتصل بالنسق الثقافي من عدة أوجه كما مرّ معنا لا سيّما في مسألة التأويل وقراءة البعد الدلالي وخلفياته مما يدل على أن السيميائية هي من أهم المناهج الحداثية التي بفعل تكيّفها مع إملاءات النقد المستجدة التي ساهمت في الانتقال إلى مناهج ومقولات ما بعد الحداثة والتي من بينها النسق الثقافي كوظيفة جوهرية في فلسفة النقد الثقافي وقد أكّد نموذج الدراسة (سند شعري) اختلاف المعنى النصي تبعا لاختلاف الإجراءات بين التحليلين السيميائي والنسقي .

9. قائمة المراجع

[1] ميجان الرويلي و سعد البازعي ؛ دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي؛ المغرب؛ ط3، 2002، ص 225

[2] المرجع نفسه، ص 226

[3] إبراهيم مصطفى وآخرون مجمّع اللغة العربية، المعجم الوسيط؛ ،مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004 ص 878

[4] ينظر الموقع: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/معني/ لوحظ يوم 2023/08/15

[5] مصطفى خالد علي وم. ربي عبد الرضا عبد الرزاق، مفهومات نظرية القراءة والتلقي، مجلة ديالي، عدد 96، 2016، ص 158

[6] محمد غنيمي هلال ، (د . ط)، مناهج النقد الأدبي، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة 1998، ص 220 – 221

7 ميجان الرويلي و سعد البازعي، مرجع سابق، ص 260

[8] المرجع نفسه ص 155

[9] يمنى العيد ، في معرفة النص، منشورات دار الاختلاف الجديدة، بيروت، لبنان، ط3، 1985، ص33

[10] رشيد بن مالك ، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، (د . ب)، (د .ط)، 2000، ص 175

[11] المرجع نفسه ص 172

[12] فيصل الأحمر ، أفق الدارسات الثقافية، منشورات الإختلاف الجزائر، ط1، 2019 ، ص 42 – 43

[13] رشيد بن مالك، مرجع سابق، ص 173

[14] عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط3، 2005، ص 77

[15] المرجع نفسه، ص 77 – 78

[16] فيصل الأحمر، ص17

[17] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992ص 25

[18] سعيد بنكراد ، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار ناحور للنشر والتوزيع، سورية، ط3، 2012 ، ص 228 – 229

[19] محمد مفتاح ، مرجع سابق، ص 57 – 58

[20] سعيد بنكراد ، مرجع سابق، ص 231

[21] فاتح علاق ، التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد العربي المعاصر، مجلة جامعة دمشق، مج: 25، عدد: 1+2، 2009، ص 161

[22] المرجع نفسه، ص 165

[23] سيد حسن السيد محمود أحمد، الأنساق الثقافية في قصيدة المديح عند تميم بن المعز، مجلة كلية التربية– جامعة عين شمس، عدد: 26، ج2، 2020، ص 26

[24] عبد الله الغذامي ، مرجع سابق، ص 80

[25] المرجع نفسه، ص 76

[26] يوسف عليمات ، النقد الثقافي (تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي)، الأهلية لنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015، ص 19

[27] رولان بارت ، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1993 ، ص 62

[28] ينظر مستويات تحليل النسق الثقافي، عليمات يوسف، مرجع سابق، ص 25

[29] أدونيس، قصائد أولى (صياغة نهائية)، منشورات الآدب، بيروت، (د . ط)، 1977 ،ص 41

[30] انطلاقا من أن الدلالة هي المسؤولة عن كشف البنية الثقافية: يمنى العيد ، مرجع سابق، ص 39 – 40

[31] اعتمدنا في كشف المعنى وفق إجراءات النسق بتحديد المعاني الظاهرة أولا؛ ثم من خلالها ننفذ للأنساق المضمرة استلهما من الإجراء الذي طبقه عليمات يوسف في كتابه النقد النسقي

[32] ينظر: عبد الله الغذّامي ، النقد الثقافي، مرجع سابق، ص 271

[33] ينظر: النسق وعلاقته بالفحولة في الشعر العربي القديم وتجلياته في شعر نزار القباني كما وضحه الغذامي، مرجع سابق، ص 267 – 268 – 269

[34] ينظر عبد الله الغذامي ا النقد الثقافي، مرجع نفسه، ص 271 وما بعدها